

# تزوير المشهد الحضاري المقدسي ومصادرة الأرض

الأهداف الحقيقية للحدائق الوطنية اليهودية في القدس الشرقية

أ.د. سعيد أبو علي

المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

في 2 آذار/ مارس 2022 ناقشت اللجنة المحلية للتخطيط والبناء في بلدية القدس الخطة رقم (674788) لتوسيع الحديقة الوطنية حول أسوار المدينة القديمة بمقدار 275 دونماً (68 فدأناً). تقترح هذه الخطة تخصيص أراضي المنتزه الوطني للمناطق الواقعة على سفوح جبل الزيتون ووادي الربابة<sup>(1)</sup> وما وراءها إلى وادي قدرون ووادي الجوز، والتي تشمل أراضي فلسطينية مملوكة ملكية خاصة، وأرضاً مملوكة للكنيسة تشمل بعض أهم المواقع المسيحية. مما دفع مسؤولي الكنيسة والجماعات الحقوقية إلى وصف الإجراء بأنه استيلاء على الممتلكات

(1) شكلت تقارير منظمات إسرائيلية مختصة بحقوق الإنسان، وخاصة منظمة «بتسليم» أحد أهم مصادر هذا المقال الافتتاحي لهذا العدد من المقدسية، ما يؤكد بشهادات ووثائق إسرائيلية ما يستهدف القدس من مخططات استعمارية تهويدية كانت الحدائق الوطنية أحد أسلحتها الناعمة التي لن تنقل بشاعة وقبح الاحتلال، وإن لبس أجمل الثياب. استمرراً في تنفيذ مخططات تدمير المشهد الحضاري الطبيعي والتاريخي في القدس وتزييفه بفرض وقائع قسرية مشوهة.

وتهديد للوجود المسيحي في الأراضي المقدسة.

ونتيجة للتوسيع المقترح، سيتم عزل الأحياء الفلسطينية عن البلدة القديمة، وسيصبح التطوير السكني لهذه التجمعات محدودًا بشكل أكبر. وذلك وجّه خبيث آخر للاحتلال الديني بذريعة تطوير الحدائق الوطنية بهدف العمل على ترسيخ الوجود اليهودي في القدس الشرقية، بما في ذلك الشيخ جراح كجزء من استراتيجية إسرائيلية أكبر لـ «تطوير» البلدة القديمة أو مركز مدينة القدس (والتي تحتضن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وكنيسة القيامة)، وذلك من خلال السيطرة على المناطق المجاورة واستخدامها كأداة لحصر البلدات والقرى والحارات الفلسطينية المحتلة عام 1967 في القدس الشرقية. مع ممارسة شتى صنوف التمييز العنصري والتطهير العرقي في المعازل المحاصرة. إن حكاية الحدائق الوطنية في القدس ليست جديدة وإن هذا المشروع الجديد ليس إلا حلقة في سلسلة مخططات بدأت منذ زمن بعيد، بما في ذلك هذا المشروع، مشروع حديقة أسوار القدس الذي يعتبر المشروع الأول في المخطط بمرحلته الأولى التي مضى عليها أكثر من خمسين عامًا ليستكمل اليوم بمرحلته الثانية، وبالعودة إلى المسار التاريخي نجد أنه في العام 1974 تم الإعلان عن أول حديقة وطنية تشمل أراضي في شرقي القدس وهي «الحديقة الوطنية» لمحيط أسوار القدس التي تمتد على نحو 1,100 دونم، ويقع أكثر من نصفها شرقي المدينة. وتحيط الحديقة بأسوار البلدة القديمة من جهتها الخارجية، وتشمل مناطق مأهولة واسعة في بلدة سلوان الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

وكانت الخارطة الهيكلية المحلية التي صدقتها بلدية القدس عام 1970 (ع.م/6) قد خصصت الأرض للحديقة الوطنية، وزعمت في حينه أنها تهدف للحفاظ

(1) Emek Shaveh, Elad's Settlement in Silwan, September 10, 2013.

«على طابع وهويّة المنطقة، عبر الحفاظ على المناظر الطبيعيّة والقيم التاريخيّة القوميّة، والقيم الدينيّة والتقليديّة، والقيم الأثريّة والمعماريّة، والتنوع اللونيّ وقيم المناظر الطبيعيّة... إلى جانب تطوير المنطقة وتنميتها بغية توفير الراحة المطلوبة للجمهور الواسع.

ولكن تجاهل مخطوط المدينة في صياغة هذه الغايات، أنّ الحديث يدور عن حديقة وطنيّة هي الوحيدة الواقعة في قلب حيّ سكنيّ مكتظّ، إلى جانب مناطق تُستخدم للصناعة والتجارة والترفيه. وتكاد تشمل الحديقة كلّ مساحة وادي حلوة في سلوان، جنوب أسوار البلدة القديمة والذي يعيش في حينه أكثر من 5,000 فلسطينيّ في أكثر من 250 مبنىّ تحوي أكثر من 700 شقة.

وذلك يعني أنّ تعريف المنطقة كحديقة وطنيّة يخلق تناقضًا حادًا بين مطلب الحفاظ على البيئة وبين احتياجات السكان للبناء والتطوير، وهي احتياجات لا يمكن أن تُلبى نتيجة للقيود التخطيطيّة النابعة من الإعلان عن قلب المنطقة كحديقة وطنيّة. وذلك ما أدى في الواقع إلى مصادرة أرض وادي حلوة ومنع تلبية احتياجات النمو الطبيعيّة.

ففي الخارطة الهيكلية المحلية التي صدّقتها بلدية القدس عام 1976 (ع.م/9) -بعد سنتين على إعلان الحديقة الوطنيّة- جرى تعريف كلّ منطقة وادي حلوة على أنها منطقة مفتوحة خاصّة. وتقضي الخارطة في هذه المنطقة بمنع أيّ بناء لمنازل سكنيّة أو مبانيّ عامّة، وفي المقابل، جرى تعريف حيّ «يمين موشيه» في هذه الخارطة، وهو حيّ يهودي شُمل أيضًا في مجال الحديقة الوطنيّة (داخل الخط الأخضر)، على أنه «منطقة سكنيّة خاصّة»، يمكن فيه بناء المنازل السكنية والمباني العامة. وقد كشف أرييه شارون، رئيس طاقم التخطيط الذي وضع الخارطة، في كتاب نشره عام 1973، عن النوايا الحقيقية والأهداف المبيتة تجاه وادي حلوة قائلاً: «إن وادي حلوة باعتباره

يفتقر للتمييز ويجوي بيوتاً بشعة كثيرة، ونما في وسط منطقة أثرية مهمة، لا بد من تفكيكه. إلا أن إخلاء مكانه وإعادة توطينهم هما مهمة باهظة التكلفة، ولذلك يجب تفكيكه في إطار سياسي بعيد المدى: عدم السماح بتشييد مبانٍ جديدة وشراء قطع الأراضي تدريجياً وتوطين العائلات في مناطق أخرى. ولهذا فإن البلدية شكلاً لا تُحلي العائلات من وادي حلوة، إلا أنها لا تسمح بالبناء القانوني فيه. ما يجبر السكان على الخروج منه وبالتالي إخلاؤه».

ويعاني الفلسطينيون سكان وادي حلوة نقصاً شديداً في المنازل السكنية والمباني العامة: إذ لا توجد فيه إلا مدرسة واحدة للبنات تابعة لوكالة غوث اللاجئين - الأونروا (ابتدائية وإعدادية)، ومدرسة خاصة للبنين (ابتدائية، من صفين) وروضة أطفال خاصة واحدة. وتضطرّ الغالبية الساحقة من الأولاد للدراسة في أحياء أخرى. ويفتقر تماماً للعيادات وفروع البريد أو الحدائق العامة. وعلى مرّ السنوات، حاول السكان دفع مخططات تسمح لهم بالبناء في نطاقه، إلا أن جميعها رُفض.

منذ عام 1967 أدين المئات من سكان وادي حلوة بالبناء غير المرخص وغُرموا بمبالغ تراوحت بين آلاف وعشرات آلاف الشيكلات. ووفقاً للمعطيات المتوفرة لدى منظمة بتسيلم، فإن بلدية القدس هدمت عام 2006 نحو 15 منزلاً سكنياً في سلوان، بما فيها وادي حلوة. وفي شباط 2012 هدمت سلطة الطبيعة والحدائق، مركزاً جماهيرياً وملعباً أقامها السكان بأنفسهم وتمويل منهم، على أرض خاصة تابعة لأحد سكان سلوان. وقد خدم الموقع نحو 300 طفل ووفّر نشاطات رياضية ومجتمعية، وفي غياب مناطق عامة شاغرة أخرى تم استخدام الملعب أيضاً لإجراء المناسبات العامة.

## ذروة التمييز العنصري

في عام 2007، بادرت بلدية القدس لوضع خارطة هيكلية لمنطقة وادي حلوة

ومنحدرات «هار تسيون». وقد جُهزت الخارطة دون إشراك السكان الفلسطينيين. وفي المقابل، جرى إشراك مستوطني جمعية «إعاد» فيه، واقترح في إطار الخارطة الهيكلية ولأول مرة تخصيص الأراضي في وادي حلوة لأغراض سكنية، وبالتالي إعادة تأهيل غالبية المنازل القائمة، التابعة للفلسطينيين والمستوطنين على حدّ سواء؛ الأمر الذي لم يحدث بالنسبة للفلسطينيين، بل أكثر من ذلك، وفي المقابل وفي 19 تشرين الثاني 2018 أقرّت الكنيست تعديلاً على قانون الحدائق الوطنية والمحميات الطبيعية والمواقع الوطنية ومواقع الذكرى. ووفقاً لهذا التعديل سيُصبح بإمكان السكان المقيمين داخل الحديقة الوطنية أن يقدموا خريطة لغرض بناء معدّ للسكن، وذلك خلافاً لما اقتضى القانون قبل التعديل، الذي جاء تلبية لطلب جمعية «إعاد» كجزء من مساعيها إلى زيادة عدد المستوطنين فيه. بالنظر إلى ذلك وإلى تاريخ ممارسات السلطات الإسرائيلية في الحيّ كما تستنتج وتؤكد جمعيات إسرائيلية مختصة بحقوق الإنسان منها «بتسليم» أنه من الواضح أنّ الصياغات الحيادية ظاهرياً التي تضمّنها القانون، غايتها فقط تمكين جمعية «إعاد» من مواصلة البناء لأجل المستوطنين، وفي المقابل منع الفلسطينيين من البناء وهدم منازلهم.<sup>(1)</sup> بل وأكثر من ذلك.

ولتحقيق هذه الغاية، فقد منحت سلطة الطبيعة والحدائق بلدية القدس تشغيل وتطوير الحديقة، خلافاً للحدائق الوطنية الأخرى التي تقع ضمن مناطق نفوذ بلديات. مما يعيد مسألة ترخيص البناء إلى اختصاص وسلطة بلدية القدس ومخططاتها الهيكلية. الهادفة إلى تهويد مدينة القدس.

(1) غير عميم، بين هولي لاند وكيدم - تحت رعاية السلطات - برنامج إعاد لمجمع ضخم، كانون الأول/ ديسمبر 2013. باللغة العبرية.

## في هذا السياق وفي عام 2013 تم إنشاء حديقتين وطنيتين جديدتين في القدس الشرقية

فحديقة أسوار القدس وإن كانت الأولى، فإنها ليست الوحيدة في سياق استخدام سلطة الاحتلال لمختلف بدع ومبررات الاستيلاء على الأرض وتهويدها، بما في ذلك خديعة الحدائق الوطنية.

في عام 2013 صدّقت لجنة التخطيط اللوائية إنشاء حديقتين وطنيتين جديدتين في القدس الشرقية: الحديقة الوطنية مُورَدوت هار هتسوفيم (منحدرات جبل المشارف) شماليّ المدينة (بين العيسويّة والطور) والحديقة الوطنية ناحل رفائيم جنوب المدينة (على أراضي الوجلة). وتنضمّ هاتان الحديقتان إلى حديقتي وادي الصوانة «تسوريم» التي أُعلن عنها عام 2000 عند سفوح جبل المشارف (بجوار الصوانة) ومحيط أسوار القدس التي أُعلن عنها منذ عام 1974 على قسم كبير من أرجاء سلوان. وقد صدّقت هذه الحدائق الوطنيّة داخل منطقة نفوذ البلديّة لمدينة القدس: على أراضي بملكيّة فلسطينيين وفي مناطق سكنيّة أو مناطق تحدّها مناطق سكنيّة مبنية تابعة لأحياء أو قرى فلسطينيّة. إلى جانب ذلك، تخطّط بلدية القدس لإقامة حدائق وطنية أخرى شرقيّ المدينة: في جبل الزيتون والشيخ جراح وباب الساهرة.

تجدر الإشارة إلى أن المنتزهات الوطنية على جبل الزيتون والحديقة الوطنية على جبل الزيتون مدرجة في نسخة الحدائق الوطنية من مخطط القدس 2000 الهيكلي. وتمتد هذه الحديقة عبر أحد أكتاف جبل الزيتون، جنوب الصوانة، مرسلة فرعاً طويلاً إلى مقبرة جبل الزيتون وفندق الأقواس السبعة. وهي بمساحة (حوالي 470 دونماً) وتلتقي من الشرق مع المنتزه الوطني الذي يحيط بأسوار المدينة القديمة ومن الغرب مع منتزه وادي الربابة «تسوريم» الوطني، مما يخلق سلسلة

إقليمية متواصلة من المتنزهات الوطنية.

إنّ الحجم الاستثنائيّ لعدد الحدائق الوطنيّة في القدس الشرقية، وموضعها الجغرافية تهدف في الأساس إلى الحفاظ على أغلبية يهوديّة في القدس، إنشاء تواصل جغرافي دون سكان فلسطينيّين - من البلدة القديمة وحتى منطقة المستوطنات المخطّطة في E1 في الضفة الغربية شرق رام الله - وتكثيف الوجود اليهوديّ شرقيّ المدينة.. وهي بهذا تكون أداة ناجعة وبالغة القوّة تخدم تلك الأهداف السياسيّة بشكل أفضل من الأدوات البلديّة التي تسعى لحصر التخطيط والبناء وتحديدتهما.

كما أن الإعلان عن حدائق وطنيّة في هذه المناطق أو تلك الواقعة في الضفة الغربيّة يهدف «لتهويدها وأسرلتها» فالمضامين التي يتلقاها جمهور الزوّار عبر المناشير والإرشادات والنشاطات التي تجري في الموقع، تدّعي تبعيّة هذه المناطق المعلنة كحدائق إلى الموروث اليهوديّ، من خلال مصادرتها من السكان الفلسطينيين في المنطقة على المستوى الفكريّ أيضًا. إلى جانب تطبيق سياسات ومخططات التطهير العرقي التي تطال الأملاك والأرض الوقفية الإسلامية والمسيحية.

من النماذج الصارخة للتطهير العرقي والتهويد ما تعيشه وتُعانيه الصوانة ووادي الجوز وجبل المشارف جراء الحدائق الوطنية، والتي سنتناولها بإيجاز شديد على التوالي:

## أولاً: الحدائق والوقف الإسلامي.

### (1) حديقة وادي الصوانة.

تمثل الإجراءات الاحتلالية في وادي الصوانة، في القدس المحتلة، نموذجًا للممارسات الاستعمارية المغلفة بأيديولوجيا تحاول تقديم التاريخ لإطالة أمد الاحتلال، من خلال تقنيات التطوير الحضري المدني.

يقع وادي الصوّانة في سفح جبل الزيتون الشمالي، ويمرّ فيه قسم من حوض تصريف مياه وادي النار، الذي يبدأ في أحياء القدس ويجري على طول 34 كم حتى البحر الميت.

تنتشر في الوادي وعلى امتداد سفح جبل الزيتون في المنطقة، أشجار الزيتون المعمرة، التي تعرف بالزيتون الروماني، بالإضافة إلى أشجار أصيلة في الطبيعة الفلسطينية كأشجار البطم المعمرة، وتمتاز المنطقة بتنوع نباتي، كأزهار الزعفران الخريفية زهرية اللون، وفي الموقع مُعَرَّ أثرية، وقبور قديمة.

وادي الصوّانة، غير الاحتلال اسمه، ليصبح (وادي تسوريم)، وسيتم تحويله إلى حديقة استيطانية، تقدمها سلطات الاحتلال على أنها:

«قسم من حلقة مساحات مفتوحة تحيط البلدة القديمة وتحافظ على المنظر القديم لمدينة القدس»

وقد أُعلن عن إقامة الحديقة الوطنيّة في وادي الصوانة «تسوريم» عام 2000 على منطقة مفتوحة مساحتها نحو 170 دونماً، عند أسفل الجامعة العبريّة في جبل المشارف. قسم من أراضي الحديقة هي أراضٍ تابعة للوقف الإسلاميّ وبعضها أراضٍ خصوصيّة بملكيّة فلسطينيّة. وتجاور حدود الحديقة المنطقة العمرانيّة في وادي الجوز شرقاً، والصوّانة جنوباً وغرباً.

وحيث لم توجد في الموقع مبرزات أثريّة أو قيم طبيعة متميّزة، وهي الأسباب التي تقف عادةً وراء الإعلان عن حدائق وطنيّة في «إسرائيل»؛ قالت سلطة الطبيعة والحدائق صراحة إنّ الحديقة أُعلنت في هذه المنطقة:

«من أجل خلق تواصل جغرافيّ مع الحديقة الوطنيّة لمحيط أسوار القدس» ومن أجل إعادة تمثيل «نقطة إطلال الحجاج في الأزمنة القديمة»، و«مناظر الثقافة



الزراعية الخاصة بتخوم الصحراء»، ولكن الحقيقة تقول إنه توجد إسقاطات سياسية واضحة هدفها: خلق تواصل من المناطق المفتوحة في البلدة القديمة وحتى جبل المشارف، يُمنع فيها البناء الفلسطيني، وبالمقابل جذب الزوار الإسرائيليين إلى المنطقة. وكتبت صحيفة هآرتس أن بيني ألون قال أثناء ولايته كعضو كنيسست عن حزب «هتيحود هليثومي»:

«إنّ الحديقة تُعتبر واحدة من 17 بؤرة يهودية حول البلدة القديمة»، التي تهدف، كما يقول وفقاً لأقواله، لمنع إمكانية تقسيم القدس. ويضيف ألون إنّ هذه النقاط تشمل المناطق المفتوحة والحدائق الوطنية والأحياء اليهودية الصغيرة.

وهكذا شكّلت هذه الحديقة الوطنية إسفيناً في التواصل المدني للأحياء الفلسطينية المحيطة بها، وتقيّد تطورها:

حيث يعيش في الصوانة اليوم نحو 3,000 نسمة. وتسمح الخرائط الهيكلية التي صُدّقت منذ 1976 بالبناء المحدود فقط، وتكاد كلّ المناطق المُعدّة للبناء السكني تكون ممتلئة. المنطقة المفتوحة الكبيرة في الجزء الشمالي من الحيّ لم تُخصّص لاحتياجات السكان، وعليها أقيمت الحديقة الوطنية.

إلى جانب ذلك، يأخذ مخطط الحديقة من المنطقة التابعة لمدرسة الإبراهيمية، وهي مدرسة وكلية بملكية فلسطينية خاصة منذ عام 1983. وتوجد قطعة أرض شاغرة بجوار المدرسة يستخدمها الطلاب والسكان من الأحياء المجاورة كملعب كرة قدم، إلا أنّ سلطة الطبيعة والحدائق هدمت في عام 2011 السور الذي أقيم حول الملعب ومرمى الأهداف، عدة مرات.

**ب- حديقة وادي الجوز، هي نموذج التمييز العنصري والتطهير العرقي:**  
يعيش في وادي الجوز نحو 17,000 فلسطيني، يعانون النقص في احتياطي الأراضي

المُخصّصة للبناء. وُخصّصت في المناطق المُخططة لوادي الجوز نسبٌ متدنّية من الأراضي للبناء، أمّا المناطق الأخرى فيه، فهي غير مخطّطة بتاتاً، فالبناء فيها مكثّف. وقد شُمل في الحديقة نحو 39 دونماً من مناطق وادي الجوز، وهي منطقة غالبيتها شاغرة باستثناء بعض المنازل.

يهدف التطوير الذي أُجري في الحديقة لخدمة جمهور الإسرائيليين والسياح، وأُعلن عن الحديقة دون الأخذ بعين الاعتبار للاحتياجات اليومية لفلسطينيي القدس المحتلة التي أُقيمت الحديقة على أراضيها، والذين هم بأمسّ الحاجة للمناطق المفتوحة لأغراض البناء، وأغراض الترفيه الأساسية. أو حتى تخطيط الحديقة لا يشجّع السكان على المرور منها، أو استخدامها لأغراض الترفيه: فسُبل الحديقة غير متصلة لفلسطينيي القدس المحتلة المجاورة لها، وثمة جدار حجري يفصلها عن المناطق السكنية.

## ج- الحديقة الوطنية منحدرات جبل المشارف، والاضرار التي تلحقها بالعیساویة

جرى ضمّ المنطقة العمرانية في قرية العیسویة المجاورة لجبل المشارف، ونحو ربع أراضيها (نحو 2,200 دونم) إلى منطقة نفوذ القدس، مع احتلال الضفة الغربية عام 1967، وجرى تطبيق القانون الإسرائيلي عليها. ومن وقتها تعتبر العیسویة أحد أحياء المدينة. في عام 1991 صدّقت بلدية القدس خارطة هيكلية للحيّ تمتدّ على نحو 670 دونماً، إلا أنّ هذه الخارطة لا تلبي بالمرّة احتياجات التخطيط والتطوير في الحيّ، الأمر الذي يُلقي بتبعاته الصعبة على حياة سكانه.

في عام 2012 كان يقطن قرية العیسویة نحو 15,500 نسمة، في منطقة عمرانية تمتدّ على نحو 800 دونم، وسط اكتظاظ سكانيّ عالٍ يصل حتى 20 نسمة للدونم

الواحد. مقابل كثافة سكانية تصل إلى ثمانية أشخاص للدونم الواحد في الحيّين اليهوديّين المجاورين - التلة الفرنسيّة و«تسميرت هيراه»- و5,6 شخص في مجمل القدس. نتيجة لتقييدات البناء، يضطرّ سكان العيسويّة مكرهين للبناء دون ترخيص والمخاطرة بهدم بيوتهم.

تُعاني قرية العيسويّة أيضًا نقصًا في البنية التحتية العامّة والأساسيّة: فمن بين أكثر من 4,200 ولد في المرحلة الدراسية يعيشون فيها، يدرس نحو 2,500 طالب في أربع مدارس بلديّة (ابتدائيّة وإعداديّة) ونحو 500 طالب آخر يدرسون في مدرسة ابتدائية وإعدادية خاصتين أقيمتا في قرية العيسويّة. وتنشط المدارس في مبانٍ غير ملائمة لغرض الدراسة. وتفتقر قرية العيسويّة للمدارس الثانويّة بشكل تامّ. ونتيجة لاستنفاذ قدرة الاستيعاب كاملة في المدارس وغياب مناطق ملائمة لإقامة مدارس جديدة، ظلّ نحو 1,200 طالب -غالبيتهم من طلاب الثانويّة- دون حلول تربويّة في الحيّ. ويتوجّه غالبية الطلاب في سنّ الثانويّة للدراسة في مدارس خارجها، وبما أنّ قرية العيسويّة شبه مغلقة من جميع الاتجاهات من خلال مؤسّسات إسرائيلية مختلفة (حرم الجامعة العبريّة، مشفى هداسا وقاعدة عسكريّة)، وأحياء إسرائيلية (التلة الفرنسيّة و«تسميرت هيراه») وطرق رئيسة (شارع رقم 1 القطريّ مثلاً)، فقد طرحت الخارطة الهيكلية التي تبلورت عام 2004 بتنسيق وضغط من السكان والبلدية توسيع المنطقة نحو الجنوب أساسًا، وهي المنطقة الوحيدة غير المسدودة. وقد هدفت الخارطة، ومساحتها نحو 1,350 دونمًا، لتوفير احتياجات السكان للبيوت السكنيّة والمباني العامّة والترفيه ومناطق الترفيه والرياضة.

ورغم أنّ التخطيط تمّ بالتنسيق مع السلطات، فقد شرعت هذه السلطات نفسها، نهاية عام 2005، بدفع مخطّط حديقة منحدرات جبل المشارف الوطنيّة، وهي الحديقة التي شملت تقريبًا كلّ المناطق التي حُصّصت لتوسيع قرية العيسويّة في

الخارطة التي أعدها السكان. وقد خُطّطت الحديقة الوطنيّة بحيث تلامس حدودها الشماليّة بيوت قرية العيسويّة القصوى. وفي أعقاب مداولات مستمرّة جرت بين مخططي العيسويّة وبين سلطات البلديّة وسلطة الطبيعة والحدائق، اتُفق خطياً عام 2007 على إزاحة حدود الحديقة الوطنيّة جنوباً، بحيث يصبح توسيع قرية العيسويّة ممكناً.

لكن في نهاية المطاف لم تحترم السلطات هذا الاتفاق: بل وفي عام 2010 أهملت الخارطة الأصليّة للحديقة الوطنيّة وقدمت خارطة جديدة وموسّعة لها؛ وفي أثناء إجراءات تصديق هذه الخارطة في لجان التخطيط التابعة لوزارة الداخليّة، جرى توسيع الحديقة الوطنيّة أكثر وأكثر. ووفقاً للخارطة المعدّلة، التي صدّقت كما أسلفنا في تشرين الثاني 2013، فإنّ الحديقة تمتدّ على كلّ المساحة الشاغرة حتى خطّ بيوت العيسويّة، وعلى قطاع يفصل بين الحيّ وبين حرم الجامعة العبريّة. ولم يتبقّ من مناطق التوسيع التي شُملت في الخارطة الهيكلية المطروحة عام 2004 التي أُعدّت لصالح العيسويّة - والتي أهملت - إلا نحو 135 دونماً، غالبيتها مناطق عمرانيّة قائمة فعلياً. بمعنى لا بناء أو توسعة جديدة.

## ثانياً: الحدائق والوقف المسيحي

وفي العودة إلى حديقة أسوار القدس، التي افتتحت في السبعينيات. فقد حرصت سلطات الاحتلال على تجنب تضمين جزء كبير من جبل الزيتون لمساحة الحديقة، حيث يوجد أكثر من اثني عشر موقعاً مقدّساً تاريخياً مسيحياً، بما في ذلك دير راهبات، وكنيسة، ومغارة الجثمانية وحديقة الرسل.

اليوم وبعد ما يقارب من خمسة عقود، عادت المرحلة الثانية إلى جدول الأعمال. وقالت المتحدثة باسم سلطة الطبيعة والحدائق، إن الهدف من المشروع هو إصلاح الأراضي في وادي الربابة «هنوم»، والتي تم إهمالها لسنوات.

وقالت المتحدثة إن جزءاً كبيراً من الـ68 فداناً المقرر دمجها في حديقة أسوار القدس الوطنية يُعتبر من أراضي الدولة.

لكن أراضي جبل الزيتون، التي تشكل غالبية ما تسعى سلطة الطبيعة والحدائق إلى دمجها في الحديقة الوطنية، مملوكة ملكية فلسطينية خاصة. يتضمن عرضاً للخطة تمت مشاركته داخلياً مع مسؤولي البلدية وحصلت عليه التاييمز أوف إسرائيل، وهي خريطة تحدد أي أجزاء من أراضي جبل الزيتون مملوكة ملكية خاصة لملاك فلسطينيين وأي منها تملكها الكنائس الفرنسيسكانية أو الأرمنية أو الأرثوذكسية اليونانية. وتؤكد المتحدثة:

«كجزء من أنشطتنا، ندير مشروعاً مشتركاً مع مؤسسة مدينة داود، لتنظيف وترميم المدرجات وزراعة الأشجار. تُعرف مؤسسة مدينة داود بالعبرية باسم «إلعاد».

وتقول منظمات يسارية إن سلطة الطبيعة والحدائق سمحت لمؤسسة مدينة داود بالدفع بأجندة سياسية قومية في القدس الشرقية.

وتم تحديد ذلك حتى من قبل مراقب الدولة السابق يوسف شايرا في تقرير صدر في عام 2016 عن عمليات سلطة الطبيعة والحدائق وسلطة الآثار الإسرائيلية في البلدة القديمة.

وكتب شايرا:

«أدى تقصير سلطة الطبيعة والحدائق وسلطة الآثار الإسرائيلية إلى وضع أصبحت فيه مؤسسة [مدينة داود]، من الناحية العملية، عاملاً رئيسياً في مجال إدارة وتشغيل المواقع السياحية في حوض البلدة القديمة في القدس، دون إشراف كبير من قبل سلطات الدولة المسؤولة عن المنطقة... هذا يرقى إلى تنصل كامل للدولة من سلطاتها».

من شأن توسيع حديقة أسوار القدس الوطنية أن يمنح سلطات الإسرائيلية القدرة على تنفيذ مشاريع فوق ممتلكات الكنائس في جبل الزيتون، مثل مشروع التلفريك المثير للجدل.

لكن بلدية القدس لا تزال تدعم خطة التلفريك، إلى جانب مؤسسة مدينة داود، التي تبني مركزاً سياحياً في سلوان، سيكون بمثابة المحطة الأخيرة على مسار التلفريك.

وتخشى المنظمات الحقوقية أنه من خلال نقل العائلات اليهودية تدريجياً إلى الشيخ جراح وسلوان شمال وجنوب البلدة القديمة وتوسيع حديقة أسوار القدس الوطنية لتشمل جبل الزيتون شرق البلدة القديمة، ستتمكن مؤسسة مدينة داود من تطوير المنطقة مع المشاريع السكنية والأثرية والبيئية اليهودية.

وفي بيان مشترك صادر عن منظمات السلام وحقوق الإنسان، بمكوم، وعيميك شفیه، وعير عميم، وسلام الآن، التي شكلت تقاريرها مصدراً لهذا المقال، جاء فيه:

«هناك صلة مباشرة بين ما يحدث في الشيخ جراح وخطة التوسع. هذه هي الآليات المختلفة التي تستخدمها إسرائيل في القدس الشرقية لترسيخ سيادتها، وتمهيش الوجود غير اليهودي، ومنع التنمية التي تشتد الحاجة إليها بالقدس المحتلة عام 1967. مما يؤدي إلى زيادة الضغط لإخراجهم من حوض البلدة القديمة. هذه الخطة هي جزء من عملية تحويل الأهمية الرمزية والسياسية للحوض التاريخي، من خلال زيادة الأهمية الدينية والوطنية اليهودية لهذه المنطقة مع زيادة الضغط على السكان الفلسطينيين. نحن نعترض على إساءة الاستخدام الساخرة للتراث وحماية البيئة كأداة من قبل السلطات الإسرائيلية لتبرير التوسع الاستيطاني، ولإعادة تشكيل السرد التاريخي ولتحديد الملكية على الحوض التاريخي».

كما قال داني سيدمان، الخبير في شؤون القدس ومؤسس منظمة «القدس الدنيوية» اليسارية، على موقع تايم أوف إسرائيل:

إن «الدوافع الكامنة وراء المخطط لا علاقة لها بالصيانة، والدوافع هي دوافع خفية تماماً- أيديولوجية منظمات المستوطنين ذات الدوافع التوراتية إلى جانب حكومة تقدم عطاءاتها عن طيب خاطر».

لكن وفي المقابل، ورداً على الخطة، أرسل رؤساء الكنائس في القدس بطريك القدس للروم الأرثوذكس ثيوفوليس الثالث وحارس الأراضي المقدسة للكنيسة الكاثوليكية فرانثيسكو باتون وبتريك الأرمن الأرثوذكس نورهان مانوجيان في 18 شباط/ فبراير الماضي رسالة إلى وزيرة حماية البيئة التي يشرف مكتبها على سلطة الطبيعة والحدائق الإسرائيلية، يطالبون فيها بإلغاء الخطة، وكتب قادة الكنائس «على الرغم من أن الخطة تم تقديمها رسمياً من قبل سلطة الطبيعة والحدائق، يبدو أنه تم طرحها ويتم تنسيقها وتطويرها والترويج لها من قبل كيانات، هدفها الوحيد الظاهر هو مصادرة وتأميم أحد أقدس المواقع المسيحية وتغيير طبيعته»، في إشارة إلى جبل الزيتون، الذي يؤمن المسيحيون أنه كان موقعاً للعديد من الأحداث الرئيسية في حياة المسيح.

وجاء في الرسالة التي حصلت عليها التايمز أوف إسرائيل «هذا إجراء وحشي يشكل هجوماً مباشراً وتمعماً على المسيحيين في الأراضي المقدسة، وعلى الكنائس وحقوقهم القديمة المضمونة دولياً في المدينة المقدسة. تحت ستار حماية المساحات الخضراء، يبدو أن الخطة تخدم أجندة أيديولوجية تنكر مكانة وحقوق المسيحيين في القدس».

كما أرسل قادة الكنائس الرسالة إلى قناصل فرنسا، تركيا، إيطاليا، اليونان، إسبانيا، بريطانيا، والسويد في القدس، في محاولة واضحة لحشد الدعم الدولي لمعارضتهم.

وخاصة أمام المخاطر والتداعيات الجسيمة لهذا المخطط، تلك التداعيات المدمرة لتوسعة الحديقة الوطنية المخطط لها والتي يمكن إبراز أهمها في النقاط الآتية:

## 1- إدارة سلطة الطبيعة والمتنزهات الإسرائيلية (INPA) وقيودها

لطالما وقفت هذه الحديقة الوطنية عائقًا خطيرًا أمام التخطيط والبناء الفلسطيني، إذ تخضع الأرض المُعلنة كمنتزه وطني لمسؤولية سلطة الطبيعة والمتنزهات الإسرائيلية (INPA). وهذا يعني أن أي عمل في منطقة محددة كمنتزه وطني يتطلب موافقة INPA بالإضافة إلى جميع الموافقات المعتادة من السلطات الأخرى، مثل البلدية. على سبيل المثال، في الحديقة الوطنية، يلزم الحصول على تصريح من INPA ليس فقط للبناء، ولكن أيضًا لزراعة الأشجار أو زراعة الأرض، وحتى للتصوير داخل منطقة المنتزه وهذا الأمر يخضع لقيود سلطة الطبيعة وغيرها من الجهات ذات الصلة.

## 2. النشاط الاستيطاني

إن التوسيع المخطط للحديقة الوطنية يعزز الحلقة الاستيطانية الناشئة حول المدينة القديمة، والتي تتكون من مجمعات سكنية للمستوطنين ومواقع سياحية يديرها المستوطنون، والتي تستخدم كقناع للتوسع الاستيطاني اليهودي. أدى التعاون طويل الأمد بين INPA ومنظمات المستوطنين، مثل «إلعاد» (إلى نقل الأراضي إلى أيدي المستوطنين الذين يحولون المساحات الفلسطينية إلى مواقع سياحية وترفيهية إسرائيلية كواجهة لتعزيز معازل المستوطنين والمزيد من ترسيخ السيادة الإسرائيلية في حوض البلدة القديمة).<sup>(1)</sup>

(1) Ir Amim, Jerusalem 2012: A Snapshot. Developments in East Jerusalem and their political ramifications, June 2013



### 3. الإضرار بالسكان الفلسطينيين

إلى جانب تعميق تآكل الوجود الفلسطيني في حوض البلدة القديمة، تمنع الخطة أيضًا بشكل مباشر إمكانية التنمية الفلسطينية وتزيد من الضغط على السكان الذين يعيشون في المنطقة. سيحيط توسيع الحديقة الوطنية مناطق البناء الفلسطيني، بما في ذلك (الثوري) ووادي الجوز، وإنشاء حاجز بين أحياء الصوانة ووادي الجوز والطور. ستؤدي مثل هذه الخطة في نهاية المطاف إلى استنزاف احتياطيات الأراضي المتبقية في كل حيٍّ من الأحياء المعنية، مما يزيد من تقييد تنمية هذه المجتمعات الفلسطينية.

لطالما عانت القدس المحتلة عام 1967 المحيطة بالبلدة القديمة من الإهمال الناجم عن سياسات التخطيط التمييزية، بما في ذلك تصنيف مناطق واسعة على أنها «خضراء»، مما يحول دون التطوير السكني. وبالتالي، فإن غياب التخطيط الحضري المناسب إلى جانب الإجراءات العقابية الشديدة ضد البناء غير المصرح به بمثابة رافعة حادة للتهجير المستمر للفلسطينيين من المناطق الواقعة على طول محيط البلدة القديمة. وبالفعل، ووفقًا لبيانات «عير عميم»، فقد تم هدم 43 منزلًا فلسطينيًا في هذه الأحياء وحدها في عام 2021 بسبب عدم وجود مخططات تقسيم مناسبة.

### 4. الأضرار التي لحقت بالمواقع الدينية المسيحية في القدس

تعود ملكية القسم الكبير من المنطقة المخصصة لتوسيع المتزه الوطني للكنائس الفرنسية-كاثوليكية واليونانية والأرثوذكسية. ما يقرب من 20 موقعًا مسيحيًا، بعضها من أهم المواقع بالنسبة للمسيحية، إما في المنطقة المخصصة للحديقة الوطنية، أو محاطة بها أو بجوارها على منحدرات جبل الزيتون. على سبيل المثال، تقع كنائس الجثمانية ومريم المجدلية ودومينوس فلبيت بجوار المتزه الوطني من الشمال والجنوب، ويتم ضغطها في شريط ضيق من الوجود المسيحي. المقبرة الكاثوليكية

في وادي قدرون مع الحديقة البابوية متضمنة في حدود توسعة الحديقة الوطنية. عندما أراد المخططون تضمين المقبرة اليهودية القريبة، عارضتها السلطات الدينية اليهودية التي تدير المقبرة ومنعت إدراجها.

في الواقع، ستقوض الحديقة الوطنية المخطط لها مجمع منحدرات جبل الزيتون كموقع مسيحي. جبل الزيتون هو أحد أهم ثلاثة مواقع للمسيحية في المدينة، ستؤدي الخطة إلى جيب مسيحي ضيق محاط بمناطق السيطرة والهيمنة الإسرائيلية. تشير هذه الخطة، إلى تجاهل وازدراء إسرائيلي للكنائس والمسيحيين في جميع أنحاء العالم.

### 5. الخطة جزء من جهود الاستيطان لتطوير البلدة القديمة

منذ الثمانينيات، تعمل الحكومة الإسرائيلية عن كثب مع منظمات المستوطنين لتوسيع الوجود الإسرائيلي في البلدة القديمة وحولها، بينما تعمل باستمرار على كبح التركيبة السكانية الفلسطينية في المنطقة. وقد تمكنوا حتى الآن من إقامة جيوب إسرائيلية تضم ما يقرب من 3000 مستوطن داخل البلدات والقرى والحارات الفلسطينية المحتلة عام 1967 في البلدة القديمة. ومحيطها، بما في ذلك سلوان ورأس العامود والطور والشيخ جراح وغيرها. إلى جانب المستوطنات السكنية، تستثمر الحكومة الإسرائيلية مئات الملايين من الشواقل في مشاريع سياحية تهدف إلى تعزيز الوجود الإسرائيلي في المنطقة وتحويلها من بيئة فلسطينية إلى فضاء يهودي به جيوب فلسطينية إسلامية ومسيحية صغيرة.

تخدم هذه الإجراءات هدف إسرائيل طويل الأمد، المتمثل في ترسيخ سيطرتها على حوض المدينة القديمة وخلق تواصل إسرائيلي بين القدس الشرقية والغربية. تمتد حلقة السيطرة هذه من الشيخ جراح شمالاً إلى سلوان جنوباً. في الشيخ جراح و سلوان، يواجه مئات الفلسطينيين التهجير من منازلهم لصالح الاستيطان

اليهودي، بينما في وادي الجوز، تنوي بلدية القدس هدم الأعمال التجارية الفلسطينية لإنشاء «وادي السيليكون».. تم تصميم كل من البستان ووادي حلوة ووادي ربابة ومشروع التلفريك لإنشاء روابط رئيسية في النطاق المتعمق للسيطرة الإسرائيلية حول حوض المدينة القديمة.

لذلك، فإن توسيع الحديقة الوطنية هو محاولة لإنتاج حلقة «خضراء» مضمنة بالمستوطنات السكنية ومشاريع الاستيطان السياحي في المدينة القديمة وحوها، كوسيلة لترسيخ الهيمنة الإسرائيلية على هذه المنطقة، وإجباط أي احتمال متبقي لاتفاق متفق عليه. بشأن القدس. بما يفضي في نهاية المطاف إلى إنهاء حلّ الدولتين وفرص تحقيق السلام في المنطقة.

وختامًا هذه الخطة هي جزء من عملية تحويل الاستيراد الرمزي والديني والسياسي لحوض المدينة القديمة من خلال زيادة الأهمية الدينية والوطنية اليهودية لهذه المنطقة مع تآكل الطبيعة متعددة الأديان والثقافات، بما يطمس الوجود الفلسطيني والهوية الفلسطينية الأصلية للمنطقة، ويطيح بالمشهد الحضاري الأصلي والحقيقي لمدينة القدس من خلال التزوير والطمس والاستبدال بالوقائع القسرية الزائفة.

هذه الخطة غير مبررة من منظور التخطيط ولا قيمة لها لحماية الأصول التاريخية. هدفها الوحيد (إلى جانب القوانين والسياسات التمييزية الأخرى) هو خدمة أجندة يمينية دينية لحوض المدينة القديمة كأداة لتبرير التوسع الاستيطاني، وترسيخ السيادة الإسرائيلية. وتغيب الهوية والوجود الفلسطيني، وذلك ما تذهب إليه منظمات وجمعيات السلام الإسرائيلية ذاتها، وتضيف إن هذه المخططات ليست إلا إساءة استخدام ساخرة لخطاب حماية التراث والبيئة.. بالمعنى الذي يؤكد استمرارية مخططات التهويد بالاستيلاء على التاريخ ومصادرته، مصادرة الحقيقة ومحاولة طمسها بخلق الواقع القسري المزيف ليتجاوز المعنى استهداف وجود الإنسان

بعمليات التطهير العرقي المنهج إلى استهداف المكان والتاريخ والهوية وبصورة رسمية ممنهجة وعلى مرأى وسماع من الدنيا بأسرها..

ولكن الحقيقة المقدسية الراسخة ستبقى عصيةً على الزوال، وأبناء القدس يُولدون ويمضون قدمًا في مسيرة النضال والدفاع عن هوية مدينتهم، مباركون أيها المقدسيون بركة القدس ومنتصرون بإذن الله.